بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 22 يوليو 2019

التسّلل المحمّدي

الساسي الضيفاوي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

الترسّـل المحمّدي[1]

1- يمثّل هذا العمل الفصل الثاني من الباب الأوّل من كتاب "التراسل بين محمّد ومعاصريه"، تأليف: الساسي الضيفاوي، ط1، منشورات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

الملخّص:

بعد أن خصّص المؤلّف الفصل الأوّل من الباب الأوّل من كتابه للحديث عن وضع الترسّل قبل النبيّ محمّد (معرفة عرب ما قبل الإسلام بنقل الأخبار والقصص والأساطير)، تناول في الفصل الثاني، الذي نحن بصدده، الترسّل المحمّدي. وقد تضمّن قسمين أساسيين؛ إذ خُصّص القسم الأوّل لضبط ثبت في رسائل محمّد. وهنا سلك المؤلّف التمشّي نفسه مع كلّ رسالة، وهو تمشٍّ يقوم على ثلاث مراحل متتالية هي: محتوى الرسالة، وغرضها، والمصدر أو المصادر التي أوردتها مع التوثيق الدقيق). وقد أورد صاحب الفصل ثبتاً لـ 102 رسالة وجّهها محمّد إلى عدّة أطراف (مثل كسرى ملك الفرس، وباذان ملك اليمن، والمقوقس عظيم القبط، ومسلمة بن حبيب الثقفي). والجدير بالملاحظة أنّ أغلب أغراض الرسائل دينيّة.

أمّا القسم الثاني من الفصل، فمداره على مضامين الرسائل، وقد لاحظ المؤلّف أنّ الرسائل وردت مشتّتة في كتب السيرة النبويّة والمغازي والتاريخ والأدب، وقد عمل أصحاب هذه المصادر القديمة على تسجيل حياة محمّد وتدوين أقواله وأعماله صيانة لها من الاندثار أو النسيان. وقد اختلف هؤلاء في عدد الرسائل المحمّديّة (من 20 رسالة عند ابن إسحاق في السيرة إلى 110 رسالة عند ابن سعد في الطبقات). وقد بيّن المؤلّف أيضاً أهمّية المراسلات النبويّة في الدراسات الإسلاميّة والحضاريّة العربيّة الحديثة والمعاصرة، مع اختلاف أصحابها في تعيين عدد تلك المراسلات. ولعلّ أهمّ ملاحظة انتهى إليها صاحب الفصل تتمثّل في أنّ الغرض الغالب على تلك الرسائل هو التوحيد باعتباره الأساس المركزي للدين الإسلامي. ولكنّ ذلك لم يمنع أن يكون مدار الرسائل النبويّة على الوصايا والنصائح المتّصلة بالاجتماع والسياسة والأخلاق، وهو ما يعني تأكيد محمّد في رسائله على المشترك الإنساني. وفي ذلك ما يقيم الدليل على وجود تواصل حضاري وفكري وسياسي بين الحضارة العربيّة وسائر الحضارات الأخرى (الفارسيّة والبيزنطيّة واليونانيّة...)، فضلاً عن أنّ مراسلات محمّد مندرجة في فضاء ثقافي ومتأثّرة بعوامل متداخلة، بيئيّة ونفسيّة وغيرهما من العوامل.

مقدّمة الفصل:

إنّ ما تعرّضنا إليه في الفصل السابق هو في الحقيقة عبارة عن نصوص تأبى أن تكون أحاديّة الدلالة والفهم؛ لأنّها تقوم على الكثرة المعنويّة والدلالات المتعدّدة والإحالات المتنوّعة والمعجم الثريّ، فهي نصوص مُركّبة من طبقات نصّية بدئيّة ويهوديّة ونصرانيّة وجاهليّة. وهو ما يُترجم صعوبة التعامل معها، وفهمها يتوقّف على تفكيكها وتحليل مضامينها التي تشكّلت منها، فهي نصوص ثقافيّة وحضاريّة وسياسية ودينيّة، مرّت بتحويلات وتحوّلات من ثقافة إلى ثقافة لاحقة.

والذي نفهمه أنّ هذه النصوص ليست نصوصاً مستقلّة، بل هي تتفاعل وتنخرط في سياقها الحضاري والسياسي والدّيني والتاريخي؛ لذا إذا تعاملنا معها على أساس أنّها مستقلّة، نعتقد أنّ ذلك يُعدّ قراءة سطحيّة، في حين هي متشابكة ومتعالقة ومتداخلة، ممّا يُترجم علاقتها العضويّة بما سيأتي لاحقاً مع بدء الدعوة المحمّديّة.

وبناء على ما سبق ذكره في الفصل الأوّل، نستخلص أنّ العرب قبل الإسلام عرفوا نقل الأخبار والتجارب والأحاديث والمكاتيب. وحرّروا أحياناً بعض الوثائق مثل العقود والوصايا والمراسلات بين بعضهم بعضاً، وإذا كان هذا الأمر قبل الإسلام، فمن باب أولى وأحرى أن يقع الاهتمام بالكتابة والتدوين والقراءة والمراسلات وإيفاد المبعوثين بعد ظهور الإسلام.

وقد أثبت القرآن هذا التوجّه كما جاء في الآية: {وَقالُوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفُرقان: 5]، وهو ما يفيد أنّ الكتابة كانت معروفة قبل الإسلام ولو بصورة شحيحة، وأنّ هناك من كان يُملي الأخبار والقصص والأساطير والتاريخ من أجل تدوينها[1].

وأثبتت المصادر والوثائق العربيّة وجود المعلّمين في الجاهليّة وصدر الإسلام على غرار عمرو بن زُرارة الذي كان يُسمّى بالكاتب، وغيلان بن سلمة بن معتب[2]، ومرامر بن مرّة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة. بل إنّ الأمر لا يتوقّف على المعلّمين والكتّاب فحسب، بل نجد صنفاً من الوثائق الجاهليّة التي تتميّز بأنّها أكثر من غيرها عدداً، وهي الرسائل المتبادلة بين الأفراد يحمّلونها أخبارهم، ويضمّنونها ما تتطلّبه شؤون حياتهم[3]، فمن رسائلهم التي كانوا يحمّلونها أخبارهم ما كتبه حنظلة بن أبي سفيان إلى أبيه بنجران

1- انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة، ص57.

2- انظر: ابن سعد (محمّد)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م، ج8، ص66-67، والبلاذُري (أحمد بن يحيى بن جابر) فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطبّاع، مؤسّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص88-89، ومعتب: جاهليّ أسلم يوم الطّائف.

3- انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة، ص71.

يُخبره بقيام محمّد بن عبد الله يدعو إلى الله[4]، ومن أمثلة الرسائل التي يطلبون فيها العون والنصرة رسالة قُصي بن كلاب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام العذري يدعوه إلى نصرته[5]، وعلى غرار هذه المكاتيب والمراسلات والبعثات والوفود في العصر الجاهلي وما قبله، نقف في كتب الأخبار والمرويّات والتاريخ والحديث والمغازي على معين ثريّ يتعلّق بمراسلات محمّد إلى الملوك والأمراء والزعماء وشيوخ القبائل والقادة العسكريين والسياسيين والدّينيين داخل الجزيرة وخارجها. وهو ما سنحاول أن نقف عليه من خلال هذا الفصل، ببيان ثبت في رسائل محمّد ثمّ محاولة قراءة مضامينها والتعليق عليها.

1- ثبت في رسائل محمّد:

إنّ الرواية التي يذكرها المصنّفون والإخباريّون تشير إلى أنّ محمّداً بعث الرسائل إلى مختلف الجهات داخل شبه الجزيرة العربيّة وخارجها، وأرسل الوفود والمندوبين، وكلّف الرسل والوسطاء.

وفي هذه الحال بإمكان الباحث أن يتساءل: كم عدد هذه الرسائل؟ ما مضامينها؟ ما الغرض من كتابتها؟ هل اتفقت المصادر التراثيّة والرواية التقليديّة التي ذُكرت فيها هذه الرسائل على بنيتها ومرسلها؟ من هو المنشئ الحقيقي للرسالة؟ هل هو محمّد أو الراوي أو الكاتب أو الوسيط أو هم جميعاً ينخرطون في ذلك؟ إنّ هذه المسائل فيها نظر، وقد ارتأينا أن نذكر الرسائل، مع إثارة بعض القضايا.

- **الرسالة: رسالة محمّد إلى كسرى ملك الفُرس**

المحتوى: دعوة محمّد كسرى ومن كان في سلطته وأتباعه إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الإيذان بالحرب على إمبراطوريّة فارس. لكن هل هذا يستقيم تاريخيّاً باعتبار أنّ الرسالة كُتبت في السنة السادسة أو السابعة للهجرة، ومحمّد وأتباعه وقتئذ في بدء نشوئهم في قلّة من العتاد والجند والعدّة والمال؟

الغرض: دينيّ.

المصادر:

- الطبقات الكبرى لابن سعد، ج1، ص223.

4- انظر: الأغاني، ج6، ص350.

5- انظر: ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك) سيرة النبيّ، تحقيق فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 1995م، ج1، ص163، وانظر: الطبقات الكبرى، ج1، ص68.

- تاريخ الرسل والملوك للطبري، ج2، ص654-655.

- صبح الأعشى للقلقشندي، ج6، ص378.

- المغازي النبويّة للزهري، ص54.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص301.

- **الرسالة: باذان ملك اليمن**

المحتوى: حملُ باذان على أن يكون من أتباع محمّد مقابل ولايته على اليمن، ولم يعزله عنها حتّى مات أو قيل قتله الأسود العنسي.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- الطبقات الكبرى، ج1، ص224.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص655.

- **الرسالة: الهلال صاحب البحرين**

المحتوى: دعوة الهلال إلى الدخول في جماعة محمّد لعلّه كان متعاطفاً معه، أو انفرد عن أهل البحرين في بقائه على عداء محمّد بعد إسلام أهل البحرين.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص238.

- **الرسالة: مسروح ونُعيم ابنا عبد كلال**

المحتوى: عبد كلال من عظماء حمير، ولعلّ محمّداً أراد أن يكسب هذه القبيلة من خلال دعوتها إلى الإسلام وتحذيرها من مغبّة العصيان.

الغرض: ديني.

المصادر:

- تاريخ الرّسل والملوك، ج3، ص.ص 120-121.

- السيرة النبويّة لابن إسحاق، ج2، ص658-659.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص228 و307.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص297.

- **الرسالة: أهل عُمان**

المحتوى: الأمر بالتوحيد وإيتاء الزكاة «وإلّا غزوتكم»، لكن هل إنكار التوحيد وعدم الالتزام بدفع ضريبة الزكاة من الأسباب التي تُبيح دماء الآخرين؟

الغرض: الترهيب.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص301.

- **الرسالة: هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة**

المحتوى: السعي إلى كسب ولاء هذا الرجل، خاصّة أنّ محمّداً يعرف أنّ هوذة كان سيّد قومه إذّاك، وكان حليفاً لكسرى وحافظاً لمصالحه، وهو ما حدا بهوذة إلى أن يردّ في كتاب إلى محمّد «اجعل لي بعض الأمر أتّبعك».

الغرض: سياسي.

المصادر:

- سيرة ابن هشام، ج4، ص305.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص225.

- صبح الأعشى، ج6، ص379.

▪ **الرسالة: بكر بن وائل**

المحتوى: قبيلة عظيمة من العدنانيّة تُنسب إلى بكر بن وائل نظراً إلى مركزه السياسي ووضعه الاقتصادي ومكانته الاجتماعيّة، وهو ما حدا بمحمّد أن يخاطب ودّه عساه أن يكون حليفاً له.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص243.

▪ **الرسالة: المنذر بن ساوى**

المحتوى: إن أسلمت تكن سالماً من الغزو والقتل والعدوان ونهب الأموال، وإن أسلمت كان لك ما تحت يديك من الجاه والسلطة، واعلم أنّ ديني سيظهر.

الغرض: الترهيب.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج6، ص368 و376.

- الطبقات الكبرى، ج14، ص238-239.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص301.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص652.

▪ **الرسالة: جيفر وعبد ابنا الجلندى ملكا عُمان**

المحتوى: كان الجلندى وجيفر وعبد أزديين، والأزد قبيلة من أشهر قبائل العرب وأعظمها، إلّا أنّها كانت خاضعة للفُرس نظراً إلى تدهور الحكم الإمبراطوري في فارس نتيجة انتصار الرّوم عليهم ممّا أتاح لمحمّد فرصة مخاطبة الأزد بحثاً عن ولائهم، فإن رفضوا فالسيف هو الفيصل.

الغرض: التهديد.

المصادر:

- الطبقات الكبرى، ج1، ص226.

- صبح الأعشى، ج6، ص380.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص301.

- **الرسالة: أسيخب بن عبد الله عامل البحرين لكسرى**

المحتوى: الدعوة إلى الإسلام أو دفع الجزية.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص238.

- **الرسالة: مسلمة بن حبيب الحنفي**

المحتوى: بيّن محمّد أنّ النبوّة أمر ذاتي يجعلها الله أنّى أراد.

الغرض: ديني.

المصادر:

- السيرة النبويّة لابن إسحاق، ج2، ص667.

- السيرة النبويّة لابن هشام، ج4، ص293.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص236.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص146.

- صبح الأعشى، ج6، ص381.

- **الرسالة: مجوس هجر**

المحتوى: كتب محمّد إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا تُفرض عليهم الجزية ولا تُنكح نساؤهم ولا تُؤكل ذبائحهم تشفّياً منهم.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص227.

- **الرسالة: ضغاطر الأسقف**

المحتوى: بيّن محمّد منزلة عيسى وموسى ومكانة مريم، وموقفه منهم ومن بعثة الأنبياء والرسل على غرار إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص239.

- **الرسالة: هرقل عظيم الروم**

المحتوى: دعوته إلى الإسلام، فإن أبى واستكبر وجب عليه أن يدفع الجزية، وإن رفض، فالقتال هو السبيل الوحيد للذين لا يدينون بالحقّ.

الغرض: ديني.

المصادر:

- المغازي النبويّة للزهري، ص60.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص223.

- السيرة النبويّة لابن هشام، ج4، ص301.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص649.

- صبح الأعشى، ج6، ص376-377.

▪ **الرسالة: المقوقس عظيم القبط**

المحتوى: إن أسلمت وقبلت دين محمّد سلمت في الدّنيا والآخرة، وإن أبيت فإنّك تتحمّل تبعات أفعالك.

الغرض: ديني.

المصادر:

- الطبقات الكبرى، ج1، ص224.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص645.

- السيرة النبويّة لابن هشام، ج4، ص301.

- صبح الأعشى، ج6، ص378.

- المغازي النبويّة للزهري، ص50 وما بعدها.

▪ **الرسالة: النجاشي ملك الحبشة**

المحتوى:

- إقرار بأنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته.

- الدعوة إلى التوحيد.

- الترغيب في الدخول إلى الإسلام.

- الترهيب من عدم الاستجابة والتمادي في العصيان والتكبّر.

- الإيصاء بجعفر ومن معه من المهاجرين.

الغرض: ديني.

المصادر:

- المغازي النبويّة للزهري، ص50 وما بعدها.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص301.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص652.

- صبح الأعشى، ج6، ص379.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص222-223.

- **الرسالة: الحارث بن أبي شمر الغسّاني**

المحتوى: كتب محمّد إلى هذا الرجل باعتباره يمثّل سلطة سياسيّة، فهو من ملوك غسّان، ودولة غسّان تعدّ رقماً مهمّاً في تشكيل المشهد السياسي في الجزيرة العربيّة نظراً إلى تواصلها مع الروم، والرسالة تدعو الحارث إلى التوحيد وتعده بمملكته مقابل الطاعة والانصياع.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- سيرة ابن هشام، ج4، ص301.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص224.

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص652.

- **الرسالة: فروة بن عمرو الجذامي**

المحتوى: كان فروة عاملاً للروم، ولعلّه تهيّب هذه العلاقة، وخاف من هذا التعامل خاصّة أنّ روما في صراع مع الإمبراطوريّة الفارسيّة، فسعى إلى مراسلة محمّد للمحافظة على ملكه، فكان هذا الكتاب ردّاً توضيحيّاً من محمّد.

الغرض: ديني.

المصادر:

- سيرة ابن هشام، ج4، ص288.

- صبح الأعشى، ج6، ص382.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص140.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص665.

- مغازي الواقدي، ج2، ص656.

- **الرسالة: يحنّة بن رؤبة وسروات أهل أيلة**

المحتوى: عرض عليهم الإسلام وصالحهم على الجزية، وأعطاهم الأمان مقابل طاعة الله ورسوله ورسل رسوله وإكرامهم.

الغرض: ديني.

المصادر:

- الطبقات الكبرى، ج1، ص250-251.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص195-196.

- مغازي الواقدي، ج3، ص1031.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص604.

- **الرسالة: اليهود**

المحتوى: السؤال الذي يُطرح في هذه الرسالة أيّ يهود يريد محمّد؟ هل هم يهود المدينة بنو قريظة أو بنو النضير أو بنو قينقاع؟ أو يهود خيبر؟ أو يهود مقنا؟ أو يهود وادي القُرى؟ ويدور فحوى المناشدة حول دعوتهم إلى المقارنة بين محمّد وموسى.

الغرض: المناشدة.

المصادر: المغازي النبويّة للزهري، ص84-85.

- **الرسالة: يهود خيبر**

المحتوى: نستشفّ من هذه الرسالة كأنّ محمّداً يريد أن يردّ على مزاعم اليهود؛ ويخبرهم بأنّ النبوّة ليست حكراً عليهم، وأنّ النبيّ لا يُبعث إلّا فيهم ومنهم، وأنّ نسبهم لا يعلو على بقيّة الخلق مثلما يتوهّمون.

الغرض: ديني.

المصادر:

- الطبقات الكبرى، ج2، ص86.

- مغازي الواقدي، ج2، ص694-696.

- **الرسالة: أسقف نجران**

المحتوى: لا يخرج سياق الرسالة من ثلاثة مطالب رئيسة، أوّلها: الدعوة إلى التوحيد، وثانيها: دفع الجزية، وثالثها: القتال إلى حدّ الانصياع.

الغرض: الترهيب والتهديد.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص229.

▪ **الرسالة: خالد بن الوليد**

المحتوى: بعثه إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يقاتلهم، فإن استجابوا قبل منهم.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص127.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص284-285.

- صبح الأعشى، ج6، ص367.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص662.

▪ **الرسالة: عمرو بن حزم**

المحتوى: حين بعثه إلى اليمن أمره أن يفقّه أهلها ويعلّمهم السنّة، ويأمر السعاة بجمع الزكاة، فعلى «كلّ حالم ذكر أو أنثى حرّ أو عبد دينار وافٍ أو عرضه (أي بدله) من الثياب».

الغرض: اقتصادي.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج10، ص9-11.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص663-664.

- الطبقات الكبرى، ج1، ص230.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص286.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص128-129.

- **الرسالة: زرعة بن ذي يزن**

المحتوى: أحد ملوك حمير، أعلمه محمّد بإجباريّة دفع ضريبة الزكاة.

الغرض: مالي.

المصادر:

- سيرة ابن هشام، ج4، ص280.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص121.

- **الرسالة: أهل اليمن**

المحتوى: كأنّ هذه الرسالة كُتبت إلى جميع من باليمن توضّح لهم أنّ من أمارات كون الشخص مسلماً الالتزام بالصلاة واستقبال القبلة والأكل من ذبيحة المسلم، فمن أسلم فله الأمان، ومن أبى فعليه الجزية.

الغرض: الترهيب والتهديد.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص228.

- **الرسالة: معاذ بن جبل**

المحتوى: رسالة عبارة عن توجيه مالي وسياسي إلى معاذ الذي عيّنه محمّد والياً على اليمن، ففصّل له من خلالها مصارف الزكاة ونصابها وشروط دفعها.

الغرض: سياسي.

المصادر: سيرة ابن إسحاق، ج2، ص659-660.

- **الرسالة: عمّاله في الصدقات**

المحتوى: مكتوب يوضّح مصارف الزكاة في المال والماشية من إبل وغنم وبقر، وبيان أبرز الشروط التي وجب أن تتوفّر في الزكاة على نحو ألّا تخرج في هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الغنم.

الغرض: مالي.

المصادر:

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص123 و147.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص292.

- مغازي الواقدي، ج3، ص1084-1085.

- **الرسالة: العلاء بن الحضرمي**

المحتوى: عهد بين الراعي والرعيّة، يحثّ من خلاله محمّد أهل البحرين على طاعة من نصّبه حاكماً عليهم.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص239.

- **الرسالة: عتاب بن أسيد**

المحتوى: فوّضه محمّد عاملاً على مكّة، وبالتحديد خدمة الكعبة ورعاية مصالح زوّارها وتأديب من يتجاوز حدوده.

الغرض: ديني.

المصادر: مغازي الواقدي، ج3، ص959-960.

- **الرسالة: قيس بن سلمة بن شراحيل**

المحتوى: يحيل هذا الكتاب على تسمية سياسيّة لقيس بن سلمة على مران ومواليها، والكلاب ومواليها، وأمره أن يُقيم الدّين الجديد، ويجمع الزكاة من أصحابها.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج1، ص281 وج6، ص266.

- **الرسالة: مصعب بن عمير**

المحتوى: يحيل معنى هذه الرسالة على قضيّة تشريعيّة تتمثّل في الأمر بصلاة الجمعة وكيفيّة أدائها وزمن القيام بها لمّا كان مصعب بالمدينة.

الغرض: تشريعي.

المصادر: الطبقات الكبرى، ج3، ص110.

- **الرسالة: عبد الله بن جحش**

المحتوى: ترصّد قريشاً وتتبّع أخبارها، وأرسل إلينا ما تقف عليه من أسرار.

الغرض: تجسّس.

المصادر:

- الطبقات، ج3، ص85.

- سيرة ابن هشام، ج2، ص255-256.

- **الرسالة: أهل ثقيف**

المحتوى: قبيلة من قبائل هوازن، ولهم بطون عديدة منهم: بنو جهل وبنو عوف ونحوهما، وهم من أشدّ العرب على محمّد قبل الهجرة وبعدها إلى أن حاصرهم عُقيب فتح مكّة، وتتنزّل الرسالة في هذا السياق ضمن كتب العهد والتأمين بينهما.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص620.

- مغازي الواقدي، ج3، 943.

- الطبقات، ج1، ص246.

▪ **الرسالة: أهل مقنا وبني جنبة.**

المحتوى: مقنا بالشام قرب أيلة كان أهله يهوداً أوفدوا سنة تسع من يحنّة عظيم أيلة، فكتب محمّد إليهم هذا الكتاب يضمن لهم من خلاله جملة من الحقوق مقابل التزامهم بعدد من الواجبات والأوامر التي من بينها دفع ربع ثمار نخيلهم وصيدهم وغزل نسائهم.

الغرض: ديني.

المصادر:

- الطبقات، ج1، ص239-240.

- مغازي الواقدي، ج3، ص1032.

▪ **الرسالة: أهل جرباء وأذرح.**

المحتوى: مقابل الأمان اشترط محمّد على أهل جرباء وأذرح وهما قريتان بالشّام أن يدفعوا مئة دينار في كلّ رجب ومئة أوقية خالصة من التدليس والغشّ، ونفهم من الرسالة أنّ الاختيار باقٍ لمحمّد بين إثبات هذه الشروط أو نقضها أو تغييرها.

الغرض: اقتصادي.

المصادر:

- الطبقات، ج1، ص251.

- مغازي الواقدي، ج3، ص1032.

▪ **الرسالة: خُزاعة.**

المحتوى: أرسل محمّد إلى عظمائها وسادتها وهم بديل بن ورقاء وبسر بن سفيان سروات بني عمرو (السرو: ما ارتفع عن مجرى السيل، وسراة قوم أي: أشرافهم) وكأنّنا به يذكّرهم بما كان بينهم وبين جدّه عبد المطّلب بن هاشم من عهد أمان وتعاون، ولعلّ هذا ما يجبّ البعد العصبي والأواصر القبليّة في تشكيل التحالفات خاصّة.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- مغازي الواقدي، ج2، ص749-750.

- مغازي الزهري، ص87.

- **الرسالة: ثمالة والحدّان.**

المحتوى: قبيلتان أزديّتان يحثّهما على دفع الزكاة إلى عمّاله.

الغرض: مالي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص284.

- **الرسالة: نهشل بن مالك الوائلي الباهلي.**

المحتوى: أمر محمّد هذا الرجل الذي يشرف على قبيلة باهلة بجمع الزكاة ودفع الجزية، وإعطاء من المغانم خُمس الله وسهم النبيّ.

الغرض: جباية.

المصادر: الطبقات، ج1، ص246.

- **الرسالة: مطرف بن الكاهن.**

المحتوى: إنّ من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فهي له، وعليهم في كلّ ثلاثين من البقر فارض (البقرة المسنّة) وفي كلّ أربعين من الغنم عتود (الصغير من ولد المعز) وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنّة (شاة).

الغرض: جباية.

المصادر: الطبقات، ج1، ص245-246.

- **الرسالة: ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي وإخوته وأعمامه.**

المحتوى: رسالة تحدّد نصاب الزكاة، والجهات المفروضة عليها، ومن هم الذين يستحقّون هذه الحصص الماليّة من سكّان أهل حضرموت.

الغرض: جباية.

المصادر: الطبقات، ج1، ص229.

- **الرسالة: جنادة الأزدي وقومه ومن تبعه.**

المحتوى: رسالة تحدّد الواجبات التي من أهمّها طاعة الله ورسوله، ودفع الضرائب من المغانم خُمس الله وسهم النبيّ، ومفارقة المشركين، فإن أجابوا، فلهم ذمّة الله وذمّة محمّد.

الغرض: جباية.

المصادر: الطبقات، ج1، ص233.

- **الرسالة: أهل نجران.**

المحتوى: حزمة من الالتزامات من بينها دفع الضرائب ومثوى رسله ومؤونتهم ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تُحبس رسله فوق شهر.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- الطبقات، ج1، ص249 و307.

- صبح الأعشى، ج6، ص380.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص126.

- **الرسالة: فجيع بن عبد الله البكائي ومن تبعه.**

المحتوى: أوجب عليهم الإسلام دفع الزكاة ومجانبة المشركين.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص263.

- **الرسالة: خالد بن ضماد الأزدي.**

المحتوى: إنّ له ما أسلم عليه من أرضه، شريطة أن يؤمن بالله وبوحدانيته ويشهد بنبوّة محمّد ويقيم الصلاة ويدفع الزكاة ويصوم رمضان ويحجّ البيت، ونلحظ أنّ محمّداً لم يترك ركناً من أركان الإسلام إلّا ذكره، فهل كلّ هذه الأركان شُرّعت وقتئذٍ؟

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص230.

- **الرسالة: حدس من لخم.**

المحتوى: بنو حدس بطن من بطون لخم بالشام، أمرهم محمّد بأن يدفعوا الزكاة مقابل أمنهم واستقرارهم، وما يترتّب على ذلك من جميع آثار الإسلام.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص230.

- **الرسالة: عامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي.**

المحتوى: الدعوة إلى الالتزام بالإسلام، ودفع الجزية، وقطع العلاقات الاجتماعيّة مع المشركين حسماً للشكّ.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص230.

- **الرسالة: الأكبر بن عبد القيس.**

المحتوى: كتاب يعلم من خلاله محمّد الأكبر وقومه بأنّه لا يؤاخذهم على أعمالهم التي أحدثوها في الجاهليّة، لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله، وعليهم الوفاء بما التزموا به إزاء محمّد وأتباعه، ألّا يحبسوا القوافل عن السير، وألّا يمنعوا الماء عن عابر السبيل.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص244-245.

- **الرسالة: عبد القيس في البحرين.**

المحتوى: إلى قبيلة عبد القيس وحاشيتها من البحرين وما حولها يذكّرهم بما تعاهدوا عليه من التزامات وواجبات دينيّة وماليّة وأمنيّة.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص271-272.

- **الرسالة: بنو زهير بن أقيش العكليّون.**

المحتوى: بنو زهير حيّ من أحياء قبيلة عُكل، شرط عليهم محمّد أن يفارقوا المشركين، ولعلّ ذلك يدخل في قطع طرق التجارة من أجل التشديد على المشركين والتضييق عليهم، فيضطرّون بالحصار الاقتصادي إلى الاستكانة وطاعة محمّد.

الغرض: مالي.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج13، ص229-230.

- الطبقات، ج1، ص241.

- سيرة ابن إسحاق، ج1، ص304.

- **الرسالة: بنو جوين.**

المحتوى: بطن من طيّ لمن آمن منهم وأقام الصلاة ودفع الزكاة وفارق المشركين فإنّ له أمان الله ومحمّد بن عبد الله.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص232.

- **الرسالة: بنو معاوية بن جرول.**

المحتوى: لعلّها قبيلة من قبائل طيّ عاهدها مثلما عاهد غيرها من أحياء طيّ على غرار بني جوين.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص232.

- **الرسالة: بنو معن.**

المحتوى: من قبائل طيّ، وسبق أن وفد مالك رأس هذه القبيلة على محمّد، ولعلّ الرسالة هي عبارة عن إحياء معاهدة قديمة بين مالك ومحمّد.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص232.

- **الرسالة: عمرو بن معبد الجُهني.**

المحتوى: من أسلم من جُهينة ودفع الجزية وأبطل الربا في الرهن ودفع الصدقة في الثمار العُشر، ومن لحق بمحمّد وأتباعه ودينه فإنّ له مثل ما لهم.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص234.

- **الرسالة: جُهينة بن يزيد.**

المحتوى: بعثه إلى قومه للدعوة فأجابوه، فأمرهم أن يلتزموا بالتوحيد ودفع الزكاة ومجانبة المشركين.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص287-288.

- **الرسالة: بنو زرعة وبنو الربعة من جهينة.**

المحتوى: عاهدهم على أنّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأنّ لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلّا في الدّين والأهل.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص233-234.

- **الرسالة: أسلم من خزاعة.**

المحتوى: لمن آمن منهم وناصر محمّداً لهم النصر منه ومن أصحابه، خاصّة أنّ خُزاعة تاريخيّاً كانت من حلفاء عبد المطلب بن هاشم جدّ محمّد الذي كان عارفاً بهذا العهد.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص234.

- **الرسالة: بنو جعيل.**

المحتوى: رهط من قريش ثمّ من بني عبد مناف، لهم مثل الذي لهم وعليهم مثل الذي عليهم.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: سيرة ابن إسحاق، ج2، ص586.

- **الرسالة: بنو أسد.**

المحتوى: حزمة من الأوامر أبرزها:

- لا تقربنّ مياه طيّ.

- لا تلجن أرضهم.

- وليحكم بينكم قضاعي بن عمرو. ويشي صدر الرسالة أنّ محمّداً كتبها بعد إسلامهم حيث يحيّيهم بتحيّة الإسلام دفاعاً عن حقوق طيّ.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص233.

- **الرسالة: بنو ضميرة بن بكر بن عبد مناة.**

المحتوى: عهد أمان لبني ضميرة ومن تبعهم أنّ محمّداً أعتقهم، فإن أحبّوا أقاموا عنده وإن أحبّوا رجعوا إلى أهلهم.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص237.

- **الرسالة: بنو عريض.**

المحتوى: قوم من اليهود قيل كانوا يسكنون وادي القُرى، والكتاب كُتب لهم سنة تسع للهجرة من تبوك، والظاهر أنّ محمّداً بعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ففتحها عنوة وأسر ملكها، وكذلك كان أمر يحنّة بن رؤبة صاحب أيلة، والأمر نفسه فعله ببني عريض حيث تتنزّل هذه الرسالة.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص241.

- **الرسالة: بنو غفّار.**

المحتوى: عقد لهم ذمّة الله وذمّة رسوله على أموالهم وأنفسهم ولهم النصر على من بدأهم بالظلم.

الغرض: تعاقد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص237.

- **الرسالة: بنو قنان بن يزيد.**

المحتوى: بطن من بني الحارث بن كعب اشترط عليهم تأمين السبيل من القطّاع والسارقين سواء منهم أو من غيرهم مقابل أمنهم.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص232.

- **الرسالة: قيس بن الحصين.**

المحتوى: من أشراف بني الحارث بن كعب، ولعلّه بهذه الحظوة أخذ أماناً لبني أبيه بني الحارث ولبني نهد هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يضمن لفائدة محمّد خدمات دينيّة وماليّة وسياسيّة.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر:

- تاريخ الرّسل والملوك، ج3، ص128.

- الطبقات، ج1، ص232.

- **الرسالة: يزيد بن المحجّل الحارثي.**

المحتوى: كاتبه كغيره من زعماء بني الحارث والمستفاد من الرسالة أنّ محمّداً كلّفه أميراً على قبيلته شريطة ألّا يحاربوا ولا يقاتلوا ولا يدعوا إلى الحرب والجهاد.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص231.

- **الرسالة: زياد بن الحارث.**

المحتوى: علّق محمّد في هذه الرسالة الأمان على أمور؛ منها محاربة المشركين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص231.

- **الرسالة: عبد يغوث بن وعلة الحارثي.**

المحتوى: بطن من بني الحارث بن كعب، وهو مكتوب يتنزّل ضمن سلسلة المراسلات مع هذه الجهة قصد كسب أزرها وأزر زعمائها، فلهم ما أسلموا عليه من أرضهم وغيرها من الأموال والمواشي.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص231.

- **الرسالة: بنو الضباب من بني الحارث بن كعب.**

المحتوى: رئيسهم وقتئذ هو عمرو بن عبد الله، والمكتوب يتضمّن عدداً من الالتزامات وجب عليهم أن يفوا بها من بينها مجانبة المشركين، ودفع الجزية، وإقامة الدّين المحمّدي.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص231.

- **الرسالة: نعيم بن مسعود بن رخيلة.**

المحتوى: رسالة عبارة عن عهد وميثاق بين محمّد ونعيم ومن تبعه، حالفهم على النصر والنصيحة، شريطة الامتثال لأوامره.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص237.

- **الرسالة: أهل جرش.**

المحتوى: من رعى حمى أهل جرش من دون أن يرعى في أرض أهله، فإنّه يعرّض نفسه إلى العقاب وماله للهدر، ولا ضمان له منّا على أهله وممتلكاته.

الغرض: سياسي.

المصادر: تاريخ الرّسل والملوك، ج3، ص130-131.

- **الرسالة: أهل البحرين.**

المحتوى: دعوتهم إلى:

- التوحيد.

- إقامة الصلاة.

- ألا يمجّسوا أولادهم.

- النصح لله ورسوله.

- دفع الضريبة المتمثّلة في عُشر النخل ونصف عُشر الحبّ، وإن أبوا فعليهم الجزية.

الغرض: ديني.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج6، ص380-381.

- الطبقات، ج1، ص271-272.

- مغازي الواقدي، ج3، ص958.

- **الرسالة: بارق من الأزد.**

المحتوى: قيل إنّ بارقاً بطن من خُزاعة، وقيل اسم جبل ينزله الأزد ببلاد اليمن، والرسالة تحثّ على المحافظة على أملاك الأزد، خاصّة بعد أن تفرّقوا من مأرب وقطنوا بالشام واليمن والبحرين والحجاز واليمامة وغيرها من الأماكن.

الغرض: مالي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص248 و304.

- **الرسالة: أهل هجر.**

المحتوى: ذهب بعض أهل الأخبار إلى أنّ هجراً كانت قاعدة البحرين، وقال بعض آخر: إنّها اسم لجميع أهل أرض البحرين، وكان بهجر سوق معروف في الجاهليّة على غرار سوق دومة الجندل وعكاظ، ولعلّ هذه من الأسباب المباشرة للبحث في التحالف مع أهل هجر.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص238.

- **الرسالة: أكيدر دومة.**

المحتوى: دومة اسم حصن قرب جبل طيّ، والغالب على دومة الجندل طوائف كلب من كنانة وطوائف من كندة، والرسالة تحيل على أنّهم لم يقبلوا الإسلام، وإنّما قبلوا دفع الجزية.

الغرض: ديني.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج6، ص370.

- الطبقات، ج1، ص249-250 و289.

- مغازي الواقدي، ج3، ص1030.

- **الرسالة: بنو جناب.**

المحتوى: إلى بني جناب من قبيلة كلب وأحلافهم ومن ظاهرهم على الوفاء بالعهد، والالتزام بدفع الجزية.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص247.

- **الرسالة: وفود كلب.**

المحتوى: من شروط العقد بينهما إيتاء الزكاة بحقّها، أي ألّا تكون مخالفة لشروطها، والالتزام بالمبادئ التي جاء بها محمّد.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص288-289.

- **الرسالة: وائل بن حجر الحضرمي.**

المحتوى: كتب محمّد إلى المهاجر بن أبي أميّة يعلمه أنّ وائلاً يترفّل على الأقيال حيث كانوا بحضرموت، أي هو يجمع الأموال ويعيّن السعاة بمفرده ويترأّس الأمور فعليك بمراقبته.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج6، ص371.

- الطبقات، ج1، ص248 و301.

- **الرسالة: بنو نهد بن زيد.**

المحتوى: بطن من قضاعة كانت منازلهم باليمن، وكانت طائفة منهم بالشّام، والمكتوب إليهم هم الذين كانوا باليمن، والرسالة بيان لمصارف الزكاة وشروطها.

الغرض: جباية.

المصادر:

- الطبقات، ج1، ص230.

- مغازي الواقدي، ج2، ص557.

- **الرسالة: وفد همدان.**

المحتوى: بيّن لهم أنّهم أمناء على صدقات أموالهم بما أخذ عليهم من الميثاق والعهد، وشدّد على ضرورة التزامهم بما أمرهم به من أوامر.

الغرض: مالي.

المصادر:

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص132.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص290.

- صبح الأعشى، ج6، ص374.

▪ **الرسالة: قيلة بنت مخرمة التميميّة.**

المحتوى: الرسالة الوحيدة التي وقفنا عليها من رسائل محمّد الموجّهة إلى امرأة هي قيلة وبناتها، وقد نهاهنّ عن الظلم والإكراه في التزويج، وكلّ مؤمن أو مسلم لهنّ وليّ وناصر.

الغرض: اجتماعي.

المصادر: الطبقات، ج10، ص295.

▪ **الرسالة: مهري بن الأبيض.**

المحتوى: مهرة قبيلة كبيرة من قضاعة، وقد عيّن محمّد مهري بن الأبيض والياً عليها مقابل أن يتعهّد بحفظ شؤونهم وألّا يُغار عليهم، وألّا تؤكل أموالهم بالباطل، وألّا يحملّهم ما يشقّ عليهم، وعليهم إقامة شرائع الإسلام.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص247 و306.

▪ **الرسالة: خثعم.**

المحتوى: بيّن لهم ما يجب أن يلتزموا به ويتّبعوه حتّى يجتنبوا ما كانوا يعبدونه من أوثان وأصنام، علماً أنّ خثعماً كانت تعظّم ذا الخلصة، وهو بيت لخثعم كان يُسمّى كعبة اليمامة وكان فيه صنم يُدعى الخلصة فهدم.

الغرض: ديني.

المصادر:

- مغازي الواقدي، ج2، ص753-754.

- الطبقات، ج1، ص247.

▪ **الرسالة: جمّاع كانوا في جبل تهامة.**

المحتوى: ويظهر من الرسالة أنّهم أخذوا مالاً وأصابوا دماً وتورّطوا في الخطايا، فلمّا أسلموا أعلمهم بأنّهم عتقاء.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص241.

▪ **الرسالة: بنو غاديا.**

المحتوى: قوم من اليهود، لمّا بلغهم سنة تسع للهجرة غزو محمّد وادي القُرى أرسلوا إليه، وصالحوه على الجزية، والرسالة تعدّ جواباً.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص241.

▪ **الرسالة: حبيب بن عمرو أخو بني أجاء.**

المحتوى: الرسالة موجّهة إلى حبيب وأخيه ولمن أسلم من قومه وأقام الصلاة وآتى الزكاة.

الغرض: تعهّد والتزام.

المصادر: الطبقات، ج1، ص242.

- **الرسالة: معاذ بن جبل.**

المحتوى: يبدو أنّ هذه الرواية ضعيفة، بل نقول إنّها موضوعة، لأنّ معاذ بن جبل توفي بعد وفاة محمّد بسنتين تقريباً، والرسالة وردت في التعزية، ولعلّها كانت من بعض الصحابة إلى معاذ، فتوهّم الراوي نسبتها إلى محمّد.

الغرض: التعزية.

المصادر: صبح الأعشى، ج9، ص80-81.

- **الرسالة: أبو سفيان بن حرب.**

المحتوى: هذا الكتاب جواب لرسالة أبي سفيان إلى محمّد في غزوة الخندق، وقد حلف أبو سفيان باللات والعُزّى وأساف ونائلة وهُبل ألّا يعود إلى مكّة حتّى يستأصل المسلمين، وهي مناسبة ذكّره فيها محمّد بهذه المواقف التي آلت إلى الهزيمة.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص459 وما بعدها.

- الطبقات، ج6، ص7-8.

- **الرسالة: عبّاس بن عبد المطّلب الهاشمي القرشي.**

المحتوى: عمّ محمّد، والرسالة توضّح لنا أنّه كان يكتب إلى ابن أخيه أخبار المشركين، ولمّا أراد الهجرة أجابه بهذا الكتاب الذي يأمره بالبقاء مكانه.

الغرض: التجسّس.

المصادر: الطبقات، ج4، ص28.

- **الرسالة: مقاسم أموال خيبر.**

المحتوى: رسالة مطوّلة توضّح كيفية تقسيم الحصص والغنائم والأموال وتوزيعها إلى الجهات وقد بلغت ثلاثين سهماً.

الغرض: جباية.

المصادر:

- سيرة ابن هشام، ج3، ص365.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص487.

- **الرسالة: هدنة الحديبية.**

المحتوى: كثر اختلاف النسخ في لفظ هذه الرسالة، وهو ما يدلّ على أنّ الرواة نقلوها بالمعنى دون اللفظ، والكتاب عبارة عن وثيقة صُلح على وضع الحرب بين محمّد، وقريش عشر سنين على أن يكفّ بعضهم عن بعض.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص234.

- صبح الأعشى، ج14، ص4 و6.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص461-462.

- سيرة ابن هشام، ج3، ص320.

- مغازي الواقدي، ج2، ص610-611.

- مغازي الزهري، ص54-55.

- **الرسالة: طهفة بن زهير وقومه من بني نهد.**

المحتوى: يحدّد هذا الكتاب النصاب في الزكاة والأموال والماشية، ويؤكّد محمّد على الشروط التي يجب أن تتوافر في هذه العطايا حتى تكون سليمة وصالحة.

الغرض: جباية.

المصادر: صبح الأعشى، ج6، ص368-369.

- **الرسالة: مالك بن نمط وقومه.**

المحتوى: وفد همدان على محمّد وكان من بينهم مالك بن نمط، فكتب لهم كتاباً، وأقطع لهم بعض الصدقات والأموال عن طريق الجزية وبعض الأراضي لفلاحتها واستغلالها.

الغرض: جباية.

المصادر: سيرة ابن هشام، ج4، ص290.

- **الرسالة: الحصين بن أوس الأسلمي.**

المحتوى: الأسلمي نسبة إلى بطن من قبيلة تميم، والكتاب يتنزّل في هذا التوسّع الدّيني والجغرافي والسياسي، ومن حيث جمع أكثر ما يمكن من المؤيّدين لرسالة محمّد، حتى وإن كان ذلك من خلال ما يقدّمه من أموال وأراضٍ.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص230.

- **الرسالة: يزيد بن الطفيل الحارثي.**

المحتوى: «المضّة»: اسم موضع، ونظنّ أنّها قطعة أرض من أراضي نجران، كتبها محمّد لفائدة يزيد مقابل نصرته له.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص231.

- **الرسالة: بنو خزيمة.**

المحتوى: كتب لهم عهداً وأمانة، ولعلّه كان لبعض بطونهم، حتّى يستفيدوا من الأرض وما أعطت، ومن الجبال وما أنتجت وبطون الأودية وما حوت.

الغرض: سياسي.

المصادر: مغازي الواقدي، ج1، ص355.

- **الرسالة: أبو بصير.**

المحتوى: بصير رجل من قريش حاول أن يستقدمه محمّد من خلال هذه المراسلة إلى المدينة حتى يستعين به في معرفة أسرار قريش العسكريّة والسياسيّة بعد صلح الحديبية.

الغرض: تجسّس.

المصادر:

- مغازي الواقدي، ج2، ص624.

- سيرة ابن هشام، ج3، ص326-327.

- الطبقات، ج5، ص180-181.

- **الرسالة: سلمة بن مالك بن أبي عامر السلمي.**

المحتوى: بموجب هذه الرسالة أعطى محمّد إلى سلمة بن مالك من بني حارثة من قبيلة بني سليم قطعة من الأرض على يسار الطريق للقاصد إلى مكّة من الكوفة.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص247.

- **الرسالة: عوسجة بن حرملة الجهني.**

المحتوى: أعطى محمّد عوسجة «من ذي المروة إلى الظبية» وهو موضع في ديار جهينة بغية كسب ودّه، وتعاطف قومه ونصرتهم لمحمّد.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص234.

- **الرسالة: بنو شنخ من جهينة.**

المحتوى: لم نعثر على قبيلة بهذا الاسم ولعلّ المراد (بنو شمخ)، بطن من قضاعة أو من فزارة، أو قد يكون صحيحاً من بني جهينة ولكن لم يذكره النسّابون، وقد جعل لهم محمّد من خلال هذه الرسالة ما ملكوه بالإحياء وما حازوه بالتخطيط من الأراضي التي كانت هناك.

الغرض: سياسي.

المصادر: الطبقات، ج1، ص234.

- **الرسالة: باهلة.**

المحتوى: كتاب فيه فرائض الصدقات وشرائع الإسلام.

الغرض: ديني.

المصادر: الطبقات، ج1، ص265.

- **الرسالة: جذام.**

المحتوى: يعلّمهم محمّد فرائض الصدقة ويأمرهم أن يدفعوا الخُمس منها إلى رسوليه أُبي بن كعب وعنبسة أو من أرسلاه.

الغرض: جباية.

المصادر: الطبقات، ج1، ص233.

- **الرسالة: عبّاس السلمي.**

المحتوى: مكّن محمّد العبّاس السلمي من قطع أرضيّة وأموال حتّى يستفيد منها بمعيّة قومه، وأن يجعل منها جزءاً لفائدة أبناء السبيل.

الغرض: مالي.

المصادر: الطبقات، ج9، ص75.

- **الرسالة: سراقة بن مالك.**

المحتوى: عبارة عن أمان من محمّد إلى سراقة الذي قيل إنّه أسلم يوم فتح مكّة، وسراقة هو الذي تستّر على هجرة محمّد من مكّة إلى المدينة، فطلب منه الخلاص وألّا يدلّ عليه ففعل، وكتب له أماناً.

الغرض: سياسي.

المصادر:

- مغازي الزهري، ص103.

- الطبقات، ج1، ص149-150.

- **الرسالة: رفاعة بن زيد الجذامي.**

المحتوى: رسالة بعثها محمّد إلى رفاعة وقومه يدعوه إلى الإسلام، وضمن لمن آمن منهم حقّ المسلم في نفسه وماله وعرضه، ومن لم يؤمن جعل له مدّة شهرين للمراجعة.

الغرض: ديني.

المصادر:

- صبح الأعشى، ج6، ص382.

- سيرة ابن هشام، ج4، ص288.

- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص665.

- تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص140.

- مغازي الواقدي، ج2، ص556.

2- قراءة في مضامين الرسائل:

من خلال تتبّعنا لهذه الرسائل نستشفّ على الأقلّ نقطتين مهمّتين سنعمل على دراستهما تباعاً، بصرف النظر عمّا ذُكر من تعدّد الرسالة الواحدة في مصدر واحد بروايات متعدّدة، ونشير إلى أنّ هناك بعض الأشخاص الذين راسلهم محمّد أكثر من رسالة، وقد استثنينا إدراج تلك الرسائل واكتفينا بذكر واحدة من خلال أبرز المصادر القديمة وبعض المراجع الحديثة التي تعدّ من الدراسات الحواف بالموضوع المبحوث فيه، والذي نخلص إليه من خلال هذه الرسائل **أوّلاً**: إنّ الذي وقفنا عليه من خلال هذه الرسائل أنّ الرسائل النبويّة بدت متفرّقة مشتّتة في كتب السيرة والتاريخ والأدب، وهي إن جُمعت في بعض التآليف التراثيّة أو المعاصرة، فإنّ هذا الجمع لا يتجاوز نقلها وتجميعها ونسخها.

إنّ الحديث عن عدد المراسلات ينطلق من أقرب المصادر تاريخيّاً من العهد النبوي، سواء كانت هذه المصادر تاريخيّة أو أحاديث أو سيرة، أي كلّ ما يتعلّق بحياة محمّد وتاريخه وسيرته ورسائله، ممّا جعل العلماء الأوائل يسعون إلى تسجيل حياة محمّد وتدوين مواقفه وأعماله وكتاباته حتى لا يلحقها التحريف والنسيان، وقد نلمس ذلك من خلال ما ذهبت إليه المصادر الأوليّة على غرار كتابات:

- محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزّهري (ت 124هـ).

- محمّد بن إسحاق بن يسار (ت 151هـ).

- محمّد بن عمر الواقدي (ت 207هـ).

- عبد الملك بن هشام (ت 218هـ).

- محمّد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230هـ).

- محمّد بن جرير الطبري (ت 310هـ).

- أبو العبّاس أحمد القلقشندي (ت 821هـ).

وقد اعتمدنا على هذه الطبقة باعتبارها قريبة من المرحلة المحمّديّة، ومعتمدة في أخبارها المتعلقة بسيرة محمّد على رواة زامنوا المرحلة النبويّة، على غرار ما رواه عروة بن الزبير بن العوّام (ت 93هـ) وأبان بن عثمان بن عفّان المدني (ت 105هـ) ووهب بن منبّه اليمني (ت 110هـ). فعروة الذي تعرّف على وقائع السيرة من والده وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق، ومن خالته عائشة زوجة محمّد التي أخذ عنها أكثر من غيرها، نعثر على شهاداته على حياة محمّد وسيرته في مختلف هذه المصادر التي ذكرنا سابقاً، فقد روى عنه ابن شهاب الزهري وابن هشام وغيرهما[6]، مثلما نقف على مرويّاته في (**الطبقات الكبرى**) لابن سعد[7]، و(**تاريخ الرسل والملوك**) للطبري[8]، وحاولنا أن نقارن بين هذه المصادر من حيث عدد ما ورد فيها من مراسلات من جهة، وبين ما أدرج من كتب ورسائل نبويّة في المراجع الحديثة والمعاصرة على نحو:

- محمّد حسين هيكل (ت 1956م).

- رونالد فيكتور بودلي (ت 1970م) (R.V.Bodley).

- أحمد زكي صفوت (ت 1975م).

- محمود شيت خطّاب (ت 1998م).

- علي الأحمدي الميانجي (ت 2000م).

- محمّد حميد الله (ت 2002م).

إنّا متى عدنا إلى نصوص الترسّل التي وردت في الرسائل السابقة نجد أنّ ابن شهاب الزهري مثلاً قد اقتصر على ذكر ثماني رسائل. وهو عدد محدود جدّاً، اكتفى بذكره ممّن راسلهم محمّد خارج الجزيرة العربيّة ومن الأجانب والمخالفين له في دينه وتوجّهاته العامّة، من قبيل رسائله إلى اليهود وخزاعة وسراقة

6- انظر: ابن حجر (الحافظ أحمد بن علي العسقلاني) تهذيب التهذيب، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسّسة الرسالة، ط1، (د.ت)، ج3، ص92-93.

7- انظر: الطبقات الكبرى، ج2، ص333، وج7، ص177.

8- انظر: الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1967م، ج1، ص294، ج3، ص36، ج6، ص160.

وهرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس، وأطال في الحديث عن كتاب صلح الحديبية والظروف التي حفّت به. ولعلّ ذلك يعود إلى تداعيات هذا الصلح وما ترتّب عليه من تبعات سياسيّة ودينيّة[9]، ويبدو أنّ الرجل توخّى منهجاً تحقيبياً في عرض أحداث السيرة، إذ ذكر في المرحلة الأولى الأخبار الموصولة بالبيئة التي ترعرع فيها محمّد، وفي المرحلة الموالية اهتمّ بالأحداث البارزة التي عرفها في مكّة، أمّا المرحلة الثالثة، فقد خصّصها للحديث عن غزوات محمّد وسفاراته وبعثاته إلى الملوك والأمراء والطوائف والوفود التي قدمت عليه، ثمّ مرضه ووفاته[10].

ونعتقد أنّ ذكره لهذا العدد المحدود من الرسائل في المرحلة الثالثة من كتابه، يعود إلى أنّ الرجل ركّز على الأحداث في مفاصلها العامّة، فذكر كلّ الجهات والشرائح والكيانات الأجنبيّة التي تعامل معها محمّد، إلّا أنّه لم يدرج كلّ المراسلات، وعدّها من الأحداث الثانويّة. إلّا أنّه يُحسب له أنّه تناول حياة محمّد ومغازيه وفتح مكّة، وبعض سفاراته ومراسلاته والوفود التي قدمت عليه، وكان من أسبق الناس إلى تدوين مروياته، حتى أنّه تحدّث عن نفسه قائلاً: «**ما صبر أحد على العلم قطّ صبري، ولا نشره أحد قطّ نشري**»[11].

ولم يشذّ ابن إسحاق عن المنهج ذاته، إذ ذكر نتفاً من الرسائل المحمّديّة والردود، ولم يعرّج على ذكرها كلّها أو جلّها أو التعليق عليها، وهذا مدعاة إلى التساؤل عن سبب تغييب هذا الجانب التراسلي الموصول بسيرة محمّد باعتباره وثيقة تاريخيّة مهمّة تترجم حياته ومواقفه الدّينيّة والماليّة والسياسيّة من الآخر المخالف، داخل شبه الجزيرة العربيّة وخارجها. فلماذا لم يذكر ابن إسحاق كلّ الرسائل النبويّة، وهو أقدم من كتب في السيرة النبوية مثله مثل الزهري؟

إثر تتبعنا ما أدرجه ابن إسحاق في السيرة النبويّة، وقفنا على العديد من الرسائل المشتتة في العديد من الصفحات على نحو رسائل ملوك حمير إلى محمّد، وردّه إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان[12]، وعلى غرار هذه المكاتيب، وقفنا على كتاب خالد بن الوليد إلى محمّد وردّ النبيّ على هذه الرسالة[13]، وكتاب الأزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق إلى محمّد في أمر بصير بن أسيد[14]، يضاف

9- انظر: الزهري (محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب) المغازي النبويّة، تحقيق سهيّل زكار وتقديمه، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1981م، ص50 إلى 60.

10- انظر: الدوري (عبد العزيز) نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 2000م، ص27 وما بعدها.

11- الزهري، المغازي النبويّة، ص27.

12- انظر: ابن إسحاق (محمّد بن يسار المطلبي) السيرة النبويّة، تحقيق أحمد فريد المزيدي وتعليقه، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج2، ص658 وما بعدها.

13- المصدر نفسه، ج2، ص661 وما بعدها.

14- انظر: المصدر نفسه، ج2، ص467 وما بعدها.

إلى ذلك الرسائل المتبادلة بين محمّد ومسيلمة، وبين النبيّ وزيد الخير[15]، وقد بعث خراشاً بن أميّة الخزاعي إلى قريش بمكّة، مثلما بعث برسالة إلى أبي سفيان وعظماء قريش، وقد أوصلها عثمان بن عفّان[16]، ورسالته إلى عمرو بن حزم[17]، وإلى رفاعة بن زيد[18].

لقد تحدّث ابن إسحاق عن عشرين رسالة أرسلها محمّد إلى مختلف الجهات، واستقبل وفوداً، وسمّى رسلاً، وعيّن سفراء حملوا كُتباً إلى الملوك يدعوهم فيها خاصّة إلى الإسلام، من ذلك رسائله إلى قيصر وكسرى والنجاشي والمقوقس وملكي عُمان وملكي اليمامة والبحرين والشام وغيرها من الرسائل الموزّعة في مختلف فصول سيرته[19].

إنّ ما ذكرنا يوضّح لنا بجلاء، أنّ الرجل ذكر البعض من مكاتيب محمّد وأغفل البعض الآخر، اقتداء بشيخه محمّد بن شهاب الزهري منهجاً ومدلولاً، فمن حيث المنهج قسّم ابن إسحاق كتابه إلى ثلاثة أجزاء هي: المبدأ والمبعث والمغازي، وبالنسبة إلى المضمون اعتمد على مرويّات ابن شهاب الزهري وأخباره، إلى درجة أنّ الرجل يشهد أنّه يعود فيما دوّنه إلى ابن شهاب، من ذلك ما حدّثه به «**يزيد بن أبي حبيب المصري: أنّه وجد كتاباً فيه ذكر ما بعث رسول الله إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال[20]: فبعثت به إلى محمّد بن شهاب الزهري فعرفه**»[21]، والعدد نفسه المحدود نحو عشرين رسالة من هذه الرسائل النبويّة، وقفنا عليه في كتاب المغازي لمحمّد بن عمر الواقدي، أدرجها الكاتب نظراً إلى أهميتها ودورها ماليّاً وسياسيّاً وعسكريّاً، فذكر ما يراه صالحاً، وما يجب أن يُدرجه، وأسقط البعض الآخر لأنّه يعدّه ثانويّاً، ومن الكتب والبعثات التي ذكرها، ما أرسله محمّد إلى أهل ثقيف وإلى أسلم وغفار، وإلى سليم ومزينة، وإلى جُهينة وفزارة، وإلى ابن كلاب وبني كعب وبني ذبيان، وكتاب الأخنس بن شريق إلى محمّد، وكتاب النبيّ إلى بصير[22].

والغريب في الأمر، أنّ ابن هشام الذي دوّن سيرة الواقدي، وأخرجها إخراجاً يتماشى وحياة محمّد وسيرته قبل البعثة وبعدها، هذه السيرة التي انتهت إليه فعُرفت به وعُرف بها، خالف المصدر الذي استقى

15- المصدر نفسه، ج2، ص648 وما بعدها.

16- المصدر نفسه، ج2، ص459 وما بعدها.

17- المصدر نفسه، ج2، ص663 وما بعدها.

18- المصدر نفسه، ج2، ص665 وما بعدها.

19- المصدر نفسه، ج2، ص673 وما بعدها.

20- أي ابن إسحاق.

21- سيرة ابن إسحاق، ج2، ص673.

22- انظر: الواقدي (أبو عبد الله محمّد بن عمر) كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1984م، ج2، ص624 وما بعدها، ج3، ص672 وما بعدها.

منه هذه المضامين التي من بينها رسائل محمّد، التي بلغ عددها عنده خمساً وسبعين رسالة، أرسلها نبيّ الإسلام إلى الملوك والأباطرة والأمراء ومختلف الجهات داخل شبه الجزيرة العربيّة وخارجها. وقد يعود ذلك إلى عدّة أسباب منها تعمّده إسقاط بعض هذه الأخبار، لأنّه يعتقد أن لا جدوى من ذكرها، خصوصاً ونحن نعرف أنّ ابن هشام أسقط من سيرة الواقدي كثيراً من المرويّات والأخبار، على غرار العديد من المقطوعات الشعريّة، أو قد يكون أسقطها بعض الرواة نظراً إلى ما حوته من مواقف، خاصّة في تعامل محمّد مع الآخرين المخالفين له سياسيّاً ودينيّاً وثقافيّاً، أو لعلّ توسّعه في ذكر عدد الرسائل النبويّة من جهة أخرى، يُعزى إلى ما ورد في البعض منها من مضامين تخدم دعوة محمّد وتسهم في تضخيم شخصه، فأدرج العديد من الرسائل التي لم يدرجها الواقدي اعتماداً على مصادر أخرى شفويّة أو كتابيّة، ممّا يترجم لنا هذا التباين في عدد هذه الرسائل بين الرجلين[23].

إلّا أنّنا نجد من جهة أخرى أنّ ابن سعد صاحب (**الطبقات الكبرى**) المعروف بكاتب الواقدي، وصل عدد الرسائل النبويّة عنده إلى مئة رسالة وعشر رسائل، أرسلها محمّد إلى فئات مختلفة من البشر من عرب وغير عرب من ملوك وحكّام ورؤساء أديان وقبائل تبيّن لهم واجباتهم، وتشير تلك الرسائل إلى أنّه كان لمحمّد ديوان يجلس فيه الكتّاب لكتابة القرآن أو الرسائل التي يرسلها إلى أمراء سراياه وإلى ملوك الدول المجاورة[24].

لكن ما نلحظه أنّ القلقشندي مثلاً الذي استقى مرويّاته من كلّ هذه المصادر السابقة، لم يذكر من هذه الرسائل النبويّة سوى عشرين وُجّهت إلى جهات مختلفة هي عُمان والبحرين واليمن واليمامة والروم، وإلى أصحاب بعض الكيانات على غرار المقوقس وطهفة النهدي والنجاشي وكسرى[25].

ونختم هذه القائمة لبعض المصادر التراثيّة القريبة تاريخياً من العهد النّبوي بما وقفنا عليه من رسائل بلغت عشرين رسالة من خلال المصدر السابع في هذه القائمة وهو كتاب (**تاريخ الرسل والملوك**) لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، وعلى الرغم من أنّ الرجل عاش في القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري، وهو عصر الرواية والتدوين والمراجعات، وفي هذه الحقبة عاش أحمد بن محمّد بن حنبل (ت 241هـ) ومحمّد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ) ومسلم بن الحجّاج بن مسلم النيسابوري (ت 261هـ) وغيرهم من المحدّثين والرواة، فإنّ الطبري لم يدرج من الرسائل المحمّديّة إلّا هذا العدد المحدود[26].

23- انظر: سيرة ابن هشام، ج4، ص301 وما بعدها.

24- انظر: الطبقات الكبرى، ج1، ص222 إلى 252.

25- انظر: القلقشندي (أبو العبّاس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصريّة القاهرة، ط1، 1922م، ج6، ص365 إلى382، وج10، ص9-11.

26- انظر: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص644 إلى 657، ج3، ص120 و146 وما بعدهما.

وإذا تعامل القدماء بهذا المنهج مع رسائل محمّد، وهو منهج ينمّ عن التناقض والانتقاء في أغلب الأحيان، فإنّ السؤال الذي يُطرح هو: هل التزم المعاصرون بالمنهج ذاته؟

تحتلّ المراسلات النبويّة مقاماً رفيعاً في الدراسات الإسلاميّة والحضارة العربيّة، فهي من أهمّ الوثائق الإنسانيّة وأعرقها في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث والدرس الحضاري المعاصر، وهي امتداد لما اشتهر به قدماء العرب من اهتمام بالأخبار والأنساب والأحداث وعلم البيان وفصاحة اللسان وأيّام العرب، ومن ثمّة كان اهتمام المعاصرين بالفكر والترسّل والسفارة والعلوم السياسيّة والدبلوماسيّة وآليّات الحوار والتفاوض الدّيني والاجتماعي والسياسي شيئاً أساسيّاً في حياتهم اليوميّة، وهو ما حدا بالكثير منهم إلى أن يذكر هذا الجانب المهمّ في سيرة محمّد باعتباره يمثّل وثيقة تاريخيّة وحضاريّة وجبت دراستها والنظر فيها، إلّا أنّ ذكر عدد الرسائل في حياة محمّد عند المعاصرين اختلف شأنه شأن ما ورد من تباين واختلاف عند القدماء، فقد تميّزت هذه المصادر قديمها وحديثها بالكثير من الاختلافات والتناقضات، ولئن تحدّث محمّد حسين هيكل عن تسع رسائل، وانتهى به التفكير إلى أنّ محمّداً أرسل «**رسله إلى هرقل وكسرى والمقوقس ونجاشي الحبشة وإلى الحارث الغسّاني وإلى عامل كسرى في اليمن**»[27]، وأضاف إلى ذلك ذكر رسائل ملكي عُمان وملكي اليمامة وملك البحرين، مثلما تحدّث الكاتب عن ردود أكثر الملوك والأمراء[28]، فإنّ المستشرق رونالد فيكتور بودلي (R. V. Bodley) لم يذكر سوى أربع رسائل، وجّهها محمّد إلى هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس، ولم يذكر الردود إطلاقاً[29].

إنّ الاهتمام باللحظة التاريخيّة التي نشأ في إطارها المدّ التراسلي كان مدعاة إلى التوسّع في عدد هذه الرسائل، ومختلف الردود، سواء عند أحمد زكي صفوت[30]، أو محمود شيت خطّاب[31]، وقد استقصينا مرجعين مهمّين في المجال التراسلي والبحث التراثي، فتبيّن لنا أنّ ما ورد فيهما يُعدّ جمعاً وتجميعاً لأكثر مكاتيب محمّد ورسائله، فقد عدّ علي الأحمدي الميانجي إحدى عشرة وثلاثمئة رسالة، وزّعها الباحث على عدّة مفاصل منها إحدى وخمسون نزّلها في إطار الدعوة إلى الإسلام، وثمانون في العهود والتأمينات، وتسع وتسعون في الموضوعات المختلفة، وإحدى وثمانون في الاقتطاعات التي لم نعثر على نصوصها، وقد

27- هيكل (محمّد حسين) حياة محمّد، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط14، 1977م، ص387.

28- انظر: المصدر نفسه، ص391.

29- انظر: بودلي (رونالد فيكتور) الرسول: حياة محمّد، ترجمة محمّد محمّد فرج وعبد الحميد جوده السحّار، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1989م، ص256 إلى 270.

30- انظر: صفوت (أحمد زكي)، جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1937م، ج1، ص31 إلى 87.

31- انظر: خطّاب (محمود شيت) سفراء النبيّ، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ومؤسّسة الريّان، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص31 إلى 224.

قسّمها الكاتب إلى قسمين: القسم الأوّل وقد صرّح الرواة فيه بالكتابة، وعدده ست وعشرون رسالة، والقسم الثاني ما لم ينصّ فيه بالكتابة وقد تشكّل من خمس وخمسين رسالة[32].

ولا يجانب محمّد حميد الله هذا المنهج تقريباً وهذا الإحصاء، إذ أدرج ثلاثمئة رسالة ورسالة واحدة، وزّعها على مرحلتين، مراسلات محمّد قبل الهجرة وقد عدّها ثمانياً[33]، ومراسلات محمّد بعد الهجرة وعددها مئتان وإحدى وثمانون رسالة موزّعة بين العهود والمواثيق والردود، وبين الذي ثبتت روايته وما لم يروَ نصّه[34]، وقد أردف الباحث في القسم الرابع من كتابه تحت عنوان: «**ذيل وضميمة**» ثمانية نصوص نُسبت إلى محمّد، من العهود والرسائل والمواثيق لليهود والنصارى والمجوس[35]، وفي ملحق ذكر الباحث أربع رسائل[36].

كيف يمكن أن نفسّر هذا الاختلاف في تحديد عدد الرسائل النبويّة بين القدماء والمحدثين؟ كيف يمكن أن نقيّم هذه المساحة العدديّة التي تكبر حيناً وتتقلّص أحياناً إلى حدّ الانتفاء، إذ تراوحت عند الأوائل بين ثماني رسائل عند ابن شهاب الزهري، وعشر ومئة رسالة أدرجها ابن سعد في طبقاته، في حين عند المحدثين تراوحت هذه المكاتيب بين أربع رسائل عند بودلي، وثلاثمئة رسالة وإحدى عشرة عند الميانجي، وثلاثمئة رسالة ورسالة واحدة عند محمّد حميد الله؟

في تقديرنا يُعزى هذا التباين في الإكثار من عدد هذه المراسلات إلى حدّ المبالغة، أو في التقليل منها إلى حدّ تبخيسها إلى عدّة أسباب، نذكر منها:

إنّ البعض من القدماء والمحدثين كتب ما يريد كتابته، وحذف أو نسف ما لا يريده ولا يروق له، فذُكرت بعض المكاتيب والرسائل والمواثيق والعهود والردود وأُسقط البعض الآخر، ولعلّ ما ورد في مضامين هذه المكاتيب من أفكار وآراء ومواقف قد يستنفرها الكاتب لأنّها لا تتماشى وخلفيّته الإيديولوجيّة، أو تتناقض مع السنّة الإسلاميّة والدعوة المحمّديّة، فهي من باب استفزاز مشاعر المسلمين وأتباع محمّد، فيتحاشى الكاتب ذكرها، أو قد يكون التغافل عن هذه الرسائل وخاصّة الردود من باب تهميشها ونسفها نهائيّاً، ولعلّ هذه الأسباب كلّها قد تكون من باب التبريرات ومجانبة الصواب، فنقول: إنّ إسقاط هذه الرسائل وعدم ذكرها عند المقلّين في الحديث عنها، قد يكون من باب السهو والنسيان، أو من أخطاء الرواة في

32- انظر: الميانجي (علي الأحمدي) مكاتيب الرسول، مطبعة دار الحديث، طهران، ط1، 1998م، ج1، ص181 إلى 349.

33- انظر: مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص43 إلى 54.

34- المصدر نفسه، ص57 إلى 338.

35- المصدر نفسه، ص549 إلى 578.

36- المصدر نفسه، ص711 وما بعدها.

نقلها، أو كانت الإشارة إلى هذه المراسلات بصورة إجماليّة نظراً إلى ضحالة مضامينها وانعدام الجدوى من الخوض في تفاصيلها، لأنّها لا تُلحق بالسيرة النبويّة نظراً إلى دونيّتها، أو قد تكون هذه المراسلات من اختلاق الرواة ولا أساس لها من الصحّة أصلاً.

إنّ الحديث عن المرحلة النبويّة، أو عن الفترة التي سبقتها أو بُعيدها من أعوص الموضوعات، نظراً إلى ما لحق بهذه الحقب من لبس وتفخيم وتبخيس وتخييل ووضع، خاصّة في غياب التدوين والتوثيق واعتماد السنّة الشفوية، لذلك كانت هذه الرسائل عند الأوائل في أغلبها مشتتة بين الرواة في روايتها وتدوينها، وبتقدّم وسائل الكتابة والتدوين، وسبل البحث العلمي والتوثيق والتحقيق، من البديهي جدّاً أن يقع جمع ما كان متفرّقاً، وهذا ينعكس على ازدياد عدد هذه المكاتيب التي أصبحت نماذج محمّد في الرسائل والعقود والمعاهدات والوصايا السياسيّة والمواثيق ونحوها، وأضحت فاتحة لما جدّ بعدها من مئات الرسائل التي كتبها خلفاء محمّد وأتباعه وقادة الحروب وأمراء البلاد داخل شبه الجزيرة العربيّة وخارجها.

وقد يُعزى الإكثار من ذكر عدد هذه الرسائل إلى تفخيم شخصيّة محمّد والمنافحة الدّينيّة، وإلى أنّ الإسلام دين لم يفرّط في شيء إلّا أحصاه ودرسه، ولتحقيق هذا كان الواحد منهم كحاطب الليل يجمع كلّ ما يعترض سبيله، سواء كان سليماً أو موضوعاً بُغية تحقيق هذا الهدف، لكن هذا لا ينفي أنّ التقليل من هذه المكاتيب أحياناً لا يُعزى إلى تجويدها وإلى المنهج العلمي المتّبع في جمعها وتجميعها، بقدر ما يُعزى إلى اتباع منهج الانتقاء في هذه المكاتيب.

إنّ مصادر بحثنا للوثائق النبويّة والرسائل المحمّديّة متعدّدة بين القديم التراثي وبين الحديث والمعاصر، وقد تميّزت هذه المصادر قديمها وحديثها بذكر هذه المكاتيب وإن اختلفت في عددها بين التقليل إلى حدّ التبخيس، أو الإكثار إلى حدّ المبالغة والوضع.

ثانياً، إذا كتب محمّد إلى عظماء عصره، فمن باب أولى وأحرى أن يكتب إلى من دونهم منزلة وقوّة سياسيّاً وعسكريّاً ودينيّاً، وعلى هذا تواترت الأخبار والمرويّات في ذكر مراسلاته وكتاباته لمعاصريه من ذوي السلطة والمكانة، سواء من العرب أو العجم، داخل الجزيرة أو خارجها، فكاتب الملوك والأمراء وشيوخ القبائل وزعماء الأديان، وقد ذكرهم جمع كبير من كتّاب المغازي والسير والمحدّثين والمؤرّخين في مصنّفاتهم على غرار رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة مع مبعوثه عمرو بن أميّة الضّمري، وقد أحسن النجاشي استقبالها، والملاحظ أنّ محمّداً كتب إلى النجاشي في الوصيّة لجعفر وأصحابه حين هاجروا إلى الحبشة، وكتب إليه أيضاً في الدعوة إلى الإسلام، وقيل في بعض المرويّات: إنّه كتب إليه في تجهيز

المسلمين للرجوع إلى المدينة[37]، ومن بين هذه المراسلات المتواترة التي بعثها محمّد إلى النجاشي نذكر: **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله، إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة. سلم أنت، فإنّي أحمد إليك الله [الذي لا إله إلّا هو] الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه. وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً، ونفراً معه من المسلمين. فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبّر، فإنّي أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نُصحي. والسلام على من اتّبع الهدى»**[38].

والذي نفهمه من هذا الكتاب أنّ محمّداً يروم أن يؤكّد جملة من المضامين المتعلّقة بالبُعد الدّيني والسياسي والاجتماعي، ومن المضامين التي أكّدها حقيقة التوحيد باعتباره رأس الدّين وقاعدته الأساسيّة والمركزيّة، مثلما عدّد أسماء الله على غرار الملك، القدّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وهو تذكير للنجاشي بأنّ الأديان الكتابيّة تشترك في هذا المشترك الدّيني المتمثّل في أنّ الله واحد لا شريك له، وأنّ الملك لله وحده وأنّ الإنسان مستخلف في هذا الكون فحسب، فإيّاك والغرور والتجبّر والتسلّط والغطرسة في الملك وفي الحكم. ولعلّ إيراد محمّد لعدد من الأسماء الموصولة بالذّات الإلهيّة هو إحالة للنجاشي ومن معه من ملّته على قراءة هذه الأطروحات وما تشي به من أنّ النّاس من أصل واحد، فكلّنا من آدم، وآدم من تراب، وهو ما يُفضي إلى وجوب التواصل بيننا في كنف المساواة والنديّة، وقد لا يستقيم ذلك إلّا بالسلم والسلام، لأنّ السّلم عمارة والحرب خراب ودمار، ولأنّ السّلم هو القاعدة، والحرب استثناء، وقد أدرج محمّد الإيمان والهيمنة في كتابه إلى النجاشي بُغية دعوته إلى أن يؤمن بهذه القيم الواردة، وأن يلتزم بتطبيقها والوفاء لها، والتعهّد بالتعامل معها، والصحبة والتواصل بها، وذكّره أنّ الله مهيمن لترهيبه وتخويفه حتى لا يجانب الصواب، وأن يعلم أنّ الله قادر على كلّ شيء، فعليه أن يعي ذلك، وأن يتحمّل تبعات أفعاله واختياراته ومواقفه.

ولئن أكّد محمّد جملة من الوصايا والنصائح الموصولة بالاجتماع والسياسة والأخلاق والدّين من خلال توحيد الله وعدم الإشراك به، وطاعته والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه والاهتداء بهدي النبيّ، والتصديق بنبوّته ورسالته. ودعا محمّد النجاشي كذلك إلى الالتزام أخلاقيّاً بحسن الوفادة والضيافة وطيب المعاملة، ونهاه عن التسلّط والتجبّر، خاصّة أنّ الرّجل يملك قوّة عسكريّة ضاربة قد تجعله يتسلّط ويظلم ويستبدّ

37- انظر: ابن عبد البرّ (أبو عمر الحافظ يوسف القرطبي)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 1966م، ص139 وما بعدها.

38- مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص100 وانظر كذلك، جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ج1، ص40. وانظر: نصّ رسالة محمّد إلى النجاشي وجواب النجاشي، مدخل إلى القرآن الكريم، ج1، ص65.

سياسيّاً واجتماعّياً، فقد نوّه بعيسى ووصفه بما وصفه به القرآن، ودعا ملك الحبشة وقومه إلى الإسلام، وإلى إكرام ضيوفه، لذلك قال محمّد في رسالته إلى النجاشي: «**أشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته**»[39] هذا الإقرار والاعتراف يهدفان إلى التدليل على التقاطع بين الكتب المقدّسة من حيث مصدر الأديان الكتابيّة وهو الله، ومن حيث اصطفاء الأنبياء والرّسل، فالله اصطفى محمّداً رسولاً مثلما اصطفى عيسى نبيّاً.

وقد تواتر تأكيد هذا المشترك الإنساني والآدمي والدّيني بين الحضارات والثقافات من خلال ما ورد ذكره، من أنّ محمّداً كتب في يوم واحد إلى المقوقس عظيم القبط وملك الإسكندريّة رسالة، حملها مبعوثه حاطب بن أبي بلتعة اللخميّ من كبار الصحابة، وقد أحسن المقوقس استقبالها وحمّل المبعوث هدايا للرّسول[40]، ورسالة إلى كسرى عظيم فارس حملها مبعوثه عبد الله بن حذافة السهميّ ومزّقها كسرى وهدّد بالحرب، وأصدر أمره إلى واليه باليمن ليحضر إليه هذا الرسول الذي تجرّأ على الكتابة إليه، وبعث الوالي رجلين إلى المدينة ليطلبا من الرسول الحضور إليه، ولكنّ محمّداً طلب من الرّجلين عندما حضرا إليه أن يعودا إلى الوالي بخبر موت ملكه الذي بفارس، وما كان من الوالي وأتباعه في اليمن إلّا أن أسلموا، وانتشر الإسلام في اليمن[41]، وكتب إلى الحارث بن أبي شمّر الغسّاني ملك تخوم الشّام، وإلى هوذة بن عليّ الحنفي ملك اليمامة، وهذه الكتابات تكاد تكون متشابهة وإن اختلفت في بعض الجزئيّات[42]، ومن بين الأصول المشتركة أنّها اشتملت على الدعوة إلى التوحيد ونشر الإسلام والعمل على القطع مع النمطيّة الجاهليّة، وهي نصوص تبيّن كيف عمل محمّد على تأمين دماء المخالفين وأموالهم وأراضيهم وحقوقهم، والمحافظة على عهودهم ومواثيقهم، وتأمين من آمن وأسلم، وحفظ حقوق أهل الكتاب، خاصّة بالنصرة لهم على من داهمهم واعتدى عليهم، وقد نرصد هذا المشترك في مكاتيب محمّد من خلال ما وظّفه في مراسلاته إلى النجاشي {يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ} [آل عِمرَان: 64][43].

والنصّ نفسه أدرجه في مراسلاته إلى هرقل[44]، وإلى المقوقس عظيم القبط[45]، ممّا يدلّ على وضوح الرؤية وسلامة المنهج، وأنّ الدين عند الله واحد وإن اختلف النّاس وتعدّدت المشارب وتباينت المواقف والأجناس واللغات، وأنّ المختلف بين الأمم في الخصوصيّات لا يُعدّ مانعاً من الائتلاف. ومن المراسلات

39- مجموعة الوثائق السياسية، ص100.

40- المصدر نفسه، ص135-136-138، وانظر كذلك جمهرة رسائل العرب، ج1، ص42.

41- المصدر نفسه، ص140-143 وانظر كذلك، جمهرة رسائل العرب، ج1، ص40.

42- انظر: ابن قيّم الجوزيّة (شمس الدّين)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط27، 1994م، ج1، ص122، وكذلك سيرة ابن هشام، ج4، ص159 وما بعدها.

43- مجموعة الوثائق السياسيّة، ص103-104.

44- المصدر نفسه، ص109.

45- المصدر نفسه، ص135-136.

النبويّة نذكر مراسلة محمّد إلى هرقل عظيم الروم، حملها دحية بن خليفة الكلبي عن طريق حاكم بصرى[46]، وأحسن القيصر استقبالها، وفحوى الكتاب: «من محمّد رسول الله إلى صاحب الروم، إنّي أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت، فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. فإن لم تدخل في الإسلام، فأعط الجزية، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: {قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ}»[47].

وأهمّ ما يمكن أن نستخلصه من مراسلات محمّد إلى إمبراطور الرّوم هو أمره بالإسلام أو إعطاء الجزية وهو صاغر أو القتال، ويقال: إنّه دعا قومه إلى الإسلام فأبوا، ودعاهم إلى إعطاء الجزية فأبوا إلّا الحرب. والملاحظ أنّ محمّداً كتب هذا الكتاب في السنة السادسة أو السابعة والمسلمون وقتئذ أحوالهم ضعيفة في العدّة والعتاد والحال والمال، فكيف وهُم على هذه الحال، يخيّر محمّد إمبراطوريّة روما بين دفع الجزية أو الحرب؟ ثمّ إنّه -كما ذكرنا- راسل إمبراطور الروم وملكي الحبشة ومصر في اليوم نفسه، فإذا ثبت ذلك، فكيف نفسّر خلوّ بعض مراسلاتهم من هذا الطلب في حين تضمّنته مراسلات هرقل؟

تجدر الإشارة إلى أنّ ردّ ملوك الروم في الأغلب كان ليّناً، ولكن الأمراء العرب المفوّضين عنهم في ولايتهم على غرار الحارث بن أبي شمر، كان ردّهم عنيفاً وقاسياً، بل قام أحدهم وهو شرحبيل بن عمرو الغسّاني باعتراض الحارث بن عُمير الأزدي الذي كان يحمل كتاب محمّد إلى أمير بصرى، ولمّا علم أنّه مبعوث من محمّد قتله، فحزّ ذلك في نفوس المسلمين، وكانت هذه الحادثة سبب غزوة مؤتة[48]، وهي أوّل صدام مع الروم وعملائهم من نصارى العرب، وقُتل فيها ثلاثة من قادة جيش المسلمين وهم زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، وتولّى القيادة بعدهم خالد بن الوليد، زد على ذلك أنّ موقف الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء وشيوخ القبائل والكيانات الدّينيّة من مبعوثي محمّد وردودهم على مراسلاته تثير استغراباً، لأنّنا لا نجد تخوّفهم من هذا الدّين الجديد والعمل على محاربته والقضاء عليه، لأنّها دعوة تريد أن تحلّ محلّ عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، بل كانت إجاباتهم في الجملة على جانب كبير من الرفق وحسن الرأي، وكانت مقابلة المبعوثين في الأغلب الأعمّ بإكرام وحسن وفادة، ويندر من قوبل منهم بالغلظة والشدّة، باستثناء الحارث بن عمير الأزدي الذي قُتل في مؤتة قبل أن يصل ملك بصرى، ولعلّ هذا يفسّر بـ:

46- بصرى: بلد بالشّام.

47- مجموعة الوثائق السياسيّة، ص110، وكذلك جمهرة رسائل العرب، ج1، ص37.

48- غزوة مؤتة: في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة.

أ- إنّ الثراء والترف والتوسعة الماليّة تصرف اهتمام هؤلاء الملوك والأمراء والقادة عن الاعتناء بالجانب الدّيني أو الروحي، لينصبّ على الجانب المادي بحثاً عن استقرارهم، وهو ما حدا بهم إلى أن يقفوا هذا الموقف المسالم من مبعوثي محمّد، فكان ردّهم رقيقاً رفيقاً ممّا زاد المسلمين إيماناً على إيمانهم.

ب- لعلّ موقف هرقل عاهل الروم، وقد كان صاحب السلطان على أكثر البلاد، وموقف النجاشي من المهاجرين من المسلمين الذين لجؤوا إليه فآواهم وأكرمهم وأحسن وفادتهم، كانا ذا أثر بالغ في نفوس باقي الملوك والأمراء والمسؤولين في تحديد موقفهم من مبعوثي محمّد.

ج- نعرف أنّ دولة الفرس كانت تمرّ بحالات عصيبة وتغيّرات جديدة على إثر هزيمتها أمام الروم، وعلى إثر قيام الفتن الداخليّة فيها، حتى قتل شيرويه أباه كسرى، ولعلّ هذه القلاقل الداخليّة والخارجيّة للإمبراطوريّة الفارسيّة كانت من أسباب تبنّي الدولة الفارسيّة تلك المواقف من مراسلات محمّد.

هل ما قُدّ من أغراض في هذه المراسلات من دين وسياسة ونُظم ماليّة وأخلاق واجتماع وحرب كان كافياً، ممّا حدا بالملوك والأمراء والزعماء والسياسيين والدّينيين إلى أن يقفوا هذا الموقف من مراسلات محمّد؟

وهل أسلوب هذه المراسلات يفرض على المخالف والعدوّ قبولها والاطمئنان إليها، باعتبارها نهضت على هذه المضامين والأغراض؟ هل ما وضعه محمّد بينه وبين اليهود والنصارى من عهود وادعهم فيها وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم، وشرط لهم واشترط عليهم، كان كلّ ذلك كافياً حتّى يكون ردّهم على ذلك النحو؟ هل الملوك والأمراء لم يتخوّفوا حقّاً من هذا الدّين الجديد، وتعاملوا معه تعاملاً سليماً في أغلب الحالات؟ ثمّ لماذا قبلوا وفود محمّد ومبعوثيه بالإكرام وحسن الوفادة؟ أو أنّ في الأمر نظراً باعتبار أنّ الردود الحقيقيّة إزاء هذه الرسائل أغفلتها الروايات التقليديّة لأسباب معيّنة؟

وممّا تسعفنا به المرويّات والأخبار، ما كتبه أبو سفيان بن حرب قائد قريش وحلفائها من الأحابيش وبني كنانة وتهامة، فهو لمّا شرع في الرحيل إلى مكّة بعث إلى محمّد كتاباً جاء فيه: «**باسمك اللهمّ، فإنّي أحلف باللّات والعُزّى [وأساف ونائلة وهُبل] لقد سرت إليك في جمعنا، وإنّا لا نريد ألّا نعود إليك أبداً حتّى نستأصلكم، فرأيت قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علّمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منّا يوم كيوم أُحد، ننصر فيه النساء**»[49]، فكتب إليه رسالة جاء فيها: «**من محمّد رسول الله إلى**

49- مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة، ص73. والملاحظ أنّ بعض الكتب مثل جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت وسفراء النبي لمحمّد شيت الخطّاب أسقطت ما كتبه أبو سفيان بن حرب إلى محمّد تلافياً لما ورد في هذه المراسلة من مضامين تحطّ من قيمة محمّد وأصحابه، وتترجم غلظة القول وخشونة المعاملة وأسلوب التحدي، فلم يستبعد أبو سفيان آلهته وتوعّد محمّداً وأتباعه بالاستئصال والاجتثاث.

أبي سفيان بن حرب. أمّا بعد، فقد أتاني كتابك وقديماً غرّك بالله الغرور. وأمّا ما ذكرت أنّك سرت إلينا في جمعكم، وأنّك لا تريد أن تعود حتّى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتّى لا تذكر اللّات والعزّى. وأمّا قولك: من علّمك الذي صنعنا من الخندق؟[50] فإنّ الله تعالى ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك. وليأتينّ عليك يوم أكسّر فيه اللّات والعُزّى وأسافة ونائلة وهُبل حتّى أذكرك ذلك»[51].

لم يتردّد محمّد في إرسال رسله إلى كسرى والمقوقس والحارث الغسّاني، وإلى عامل كسرى في اليمن وغيرهم كثير، وممّا جاء في رسالته إلى المقوقس حاكم الإسكندريّة ومصر[52]: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أَسلم تَسلم، يؤتك الله أجرك مرّتين. فإن تولّيت، فعليك إثم القبط {يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ} [آل عِمرَان: 64][53]. وجاء جواب المقوقس إلى «**محمّد بن عبد الله من المقوقس، سلام، أمّا بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه. وقد علمت أنّ نبيّاً قد بقي، وقد كنت أظنّ أنّه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسلك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها. والسلام**»[54].

يمكن أن نحوصل أهمّ ما ورد من مضامين في هذين الكتابين، وهي مضامين تتعلق بالتّرغيب خاصّة في الدّخول في الدّين الجديد من قبل محمّد والتأكيد على منهجه الدعوي في نشر الدعوة، التي بها يضمن ولاء سياسيّاً، وكأنّ محمّداً آمن إيماناً راسخاً بأنّ هذه المكاتيب الموجّهة خاصّة خارج شبه الجزيرة، وإلى الأقوام الذين يختلفون مع العرب والمسلمين اختلافاً جذريّاً، أنّ هذا الدّين الجديد لم يقصد به العرب وحدهم، ولكن يقصد به الناس كافّة، وقد أحسن المقوقس استقبال الوفد الذي حمل إليه الرسالة، وحمّله هدايا إلى محمّد، من ذلك جاريتان، تزوّج محمّد واحدة منهما وهي مارية القبطيّة، وأهدى الثانية واسمها شيرين إلى شاعره حسّان بن ثابت، وممّا قاله المقوقس فيما دار بينه وبين حاطب من حوار حول الاعتقاد والأخلاق والدّين

50- إشارة إلى غزوة الخندق أو الأحزاب التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة، وقد كان لكلّ جماعة قائدها، فأبو سفيان بن حرب (63 ق.هـ-30هـ) قائد قريش وحلفائها، وعيّينة بن حصن الفزّاري قائد غطفان، وحيي بن أخطب النضري قائد اليهود. راجع في ذلك: الطبقات الكبرى، ج3، ص108.

51- مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص73-74.

52- اسمه جريج بن مينا، حملها إليه حاطب بن أبي بلتعة على رأس وفد من ستّة أشخاص.

53- مجموعة الوثائق السياسيّة، ص135-136.

54- المصدر نفسه، ص36.

والاجتماع وشخصيّة محمّد والمشترك بينه وبين موسى وعيسى: «**إنّي نظرت في أمر هذا النبيّ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه**»[55].

لقد كتب محمّد في شتّى المجالات والاختصاصات ومختلف القضايا والمشاغل الاجتماعيّة والدّينيّة والسياسيّة، على غرار المسائل العسكريّة مثل تسجيل المغانم وتقسيمها، وتدوين أسماء المتطوّعين للغزوات والسرايا، وكتب في الشؤون السياسيّة مثل العلاقات الدبلوماسيّة وإنشاء السفارات والبعثات، وكتب في المعاملات الدنيويّة مثل الزكاة والصدقات، وكتب إلى عمّاله وقت ردّة اليمن واليمامة، إلى غير ذلك من مجالات الحياة المتشعّبة، خاصّة الأمور العقديّة والدّينيّة والعبادات، ومثال ذلك كتابه إلى مصعب بالمدينة لإقامة الجمعة، وكان محمّد وقتئذٍ بمكّة، وقد عسر عليه أن يجمع أتباعه، وأن يُقيم هذه الصلاة. معنى ذلك أنّ محمّداً أذن بالجمعة قبل أن يهاجر، ونظراً إلى أنّه لم يستطع أن يجمع بمكّة، كتب إلى مصعب بن عمير: «**أمّا بعد، فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم. فإذا مال النهار عن شطره عن الزوال من يوم الجمعة، فتقرّبوا إلى الله بركعتين**»[56].

إنّ الذي يمكن أن نستشفّه من خلال هذه المراسلات، هو أنّ الاتّصال الحضاري والفكري والسياسي بين الحضارة العربيّة وبقيّة الحضارات، لا يمكن أن ننكره أو نطمسه، فالعرب والمسلمون ورثوا من بعد الفتوحات الإسلاميّة الحضارات البشريّة وأضافوا إليها، فقد ورثوا الحضارات الفارسيّة واليونانيّة والبيزنطيّة والفرعونيّة، وتمثّلوا تراثها وعقائدها وطقوسها وطرائق تفكيرها، واقتبسوا منها المعارف والأصول الثقافيّة، وقامت حضارة عربيّة إسلاميّة في جميع بلاد العرب والمسلمين.

بناءً على ما تقدّم يمكن أن نؤكّد هذا المشترك الدّيني والأخلاقي والاجتماعي والحضاري من جهة، لكن من جهة ثانية يمكن أن نقول: إنّ الترسّل محلّي بيئيّ، بدءاً من عهد الأنبياء السّابقين والملوك والأمراء والساسة والقادة العسكريين وزعماء القبائل وطبقة الشعراء والخطباء، وصولاً إلى زمن محمّد وما تمخّض عنه من تداعيات تجلّت بوضوح في نظام المصاهرات والأحلاف والقرابات والمعاهدات والمواثيق، التي نعتقد أنّها من العوامل الرئيسة المباشرة التي أفرزت، أو على الأقلّ ساعدت على إيجاد المراسلات النبويّة.

وفي هذه الحال بإمكان الباحث أن يقول: إنّ هذه المراسلات المحمّدية لم تكن وليدة اللحظة والمصادفة، فهناك مؤثّرات وإرهاصات كانت وراءها على غرار الفضاء الثقافي والعوامل البيئيّة والنفسيّة وغيرها، وكان استحضار هذه الأفكار والمضامين الواردة في هذه المراسلات يدلّ على أنّ محمّداً واقع تحت تأثير

55- حمزة (عبد اللطيف) الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، (د.ت)، ص148.

56 - الطبقات الكبرى، ج3، ص110.

ثقافة عصره اليهوديّة والنصرانية، وتحت تأثير الثقافة العربيّة الجاهليّة، على الرغم من أنّ محمّداً عمل على أسلمة هذه المراسلات، وإن كانت الثقافات الأخرى الوافدة حاضرة فيها بامتياز، وقد حرص محمّد على إسقاط كلّ ما من شأنه أن يتنافى وأخلاقيّات الإسلام وأدبيّات التوحيد وأصول التراسل ومبادئ الدبلوماسيّة؛ لذلك لا يمكن أن نتحدّث عن هذه المراسلات خارج مناخها الثقافي والاجتماعي والبيئي والنفسي، وبمعزل عن تأثير المصاهرة والقرابة والولاء والأحلاف والمعاهدات ونحو ذلك زمن محمّد.

خاتمة الفصل:

من كلّ ما تقدّم في هذا الفصل نستنتج أنّ المصادر والوثائق العربيّة تحدّثت عن المراسلات النبويّة، وقد ذكرنا نماذج منها على وجه التمثيل لا الحصر، وبيّنا أنّ هذه المكاتيب لا يمكن أن تكون معلّقة بين الأرض والسماء، بل هي نتاج سياق معرفي وبيئي ونفسي، والبحث في هذا الجانب من الترسّل دعانا إلى أن نقف على عدد من المضامين والمعاني في مختلف المجالات السياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة والحربيّة والاجتماعيّة والماليّة، وإن ارتبطت هذه الأغراض بأهداف ينشدها محمّد بطريقة علنيّة أو ضمنيّة.

ولئن اعتمدنا بصورة واضحة على المصادر القديمة، فإنّنا أغنينا بحثنا ببعض المراجع الحديثة بُغية المقارنة بين القديم والجديد في هذه الرسائل من حيث الشكل والدلالة، واستخلصنا الاختلاف في عدد هذه الرسائل ومحتواها والجهات المرسلة إليها، هذا الاختلاف يصل أحياناً إلى التناقض والاضطراب، ممّا يدلّ على أنّ هذه الرسائل رُويت من أكثر من راوٍ، وأنّ كلّ راوٍ ذكر ما أراد وتجاوز ما لم يرمه، وأنّ الاختلاف في المحتوى والمعجم يُحيل على أنّ أغلبها رُوي بالمعنى، فطغى عليها بذلك جانب الانتحال والوضع.

المصادر والمراجع

I- المصادر:

- ابن إسحاق (محمّد بن يسار المطلبي) السيرة النبويّة، تحقيق أحمد فريد المزيدي وتعليقه دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

- ابن سعد (محمّد)، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م.

- ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك) سيرة النبيّ، تحقيق فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 1995م.

- الزهري (محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب) المغازي النبويّة، تحقيق سهيّل زكّار وتقديمه، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1981م.

- الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1967م.

- الواقدي (أبو عبد الله محمّد بن عمر) كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1984م.

II- المراجع:

1- المراجع العربيّة والمترجمة:

- ابن حجر (الحافظ أحمد بن علي العسقلاني):

- تهذيب التهذيب، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسّسة الرسالة، ط1، (د.ت).

- ابن عبد البرّ (أبو عمر الحافظ يوسف القرطبي): الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 1966م.

- ابن قيّم الجوزيّة (شمس الدين)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط27، 1994م.

- الأسد (ناصر الدّين) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1962م.

- الأصفهاني (أبو الفرج) كتاب الأغاني، إشراف محمّد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط1، 1950م.

- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر):

- بودلي (رونالد فيكتور) الرسول: حياة محمّد، ترجمة محمّد محمّد فرج وعبد الحميد جودة السحّار، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1989م.

- الجابري (محمّد عابد) مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

- حمزة (عبد اللطيف) الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، (د.ت).

- حميد الله (محمّد)، مجموعة الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط5، 1985م.

- خطّاب (محمود شيت) سفراء النبيّ، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ومؤسّسة الريّان، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

- الدوري (عبد العزيز) نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 2000م.

- صفوت (أحمد زكي)، جمهرة رسائل العرب في عصور العربيّة الزاهرة، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1937م.

- القلقشندي (أبو العبّاس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط1، 1922م.

- الميانجي (علي الأحمدي) مكاتيب الرسول، مطبعة دار الحديث، طهران، ط1، 1998م.

- هيكل (محمّد حسين) حياة محمّد، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط14، 1977م.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019